

البركة في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

وفاء بنت عبد الله الزعافي

أستاذة التفسير المساعدة بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية بنات، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب ٣٧٥٩٢ الرمز ١١٤٤٩

E-mail: d.w.z1432@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٣٢/٧/٢ هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٣٢/١٢/٣٠ هـ)

الكلمات المفتاحية: البركة، التنمية، النعمة، السعادة، التربية، الأمن الاجتماعي، التقوى.
ملخص البحث: البركة تعني كثرة الخير ونماءه واستقراره في شتى مجالات الحياة. ولذا فإن الخير لا قيمة له عندما تنزع منه البركة، فهي التي تنميه وتحفظه وتقيه، فمن خصائص البركة الثبات والاستمرار استمراراً لا يعرف حدود الزمان والمكان، فهي باقية ممتدة إلى دار الخلود في الدار الآخرة. ولذا فإن التنمية التي تسعى إلى زيادة الخيرات المتاحة أمام الناس لا سبيل للوصول إلى أهدافها إلا بجعل البركة قاعدتها التي تنطلق منها، فتأخذ بأسباب تحصيلها، وتتجنب معوقات وجودها. وبذا تصبح مشاريع التنمية مشاريع ناجحة وفاعلة ومحقة للحياة الكريمة، الأمر الذي ينعكس على أمن المجتمع ورفاهيته واستقراره.

ولما كانت البركة ذات أبعاد تنموية في حياة الناس، ولها أثر عظيم في تحقيق الأمن بمعناه الشامل، جاء خطاب القرآن الكريم ليبين معنى البركة، ويوضح حدودها ويجلي معالمها وسبل اكتسابها، وموانع الحرمان منها، وفق مقاصد القرآن العظمى، لأن وجود البركة مرتبط بحسن الصلة بالله، وهذا ما يؤكد على أن الأمن بمعناه الشامل والتنمية المستدامة مرتبهان بسلامة التوحيد، وصحة المعتقد واعتدال التفكير.

مقدمة

بين الستين والسبعين^(١)، وهي مدة قصيرة إذا ما قورنت

بأعمار الأمم السابقة، وبالتكاليف والأعمال التي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ لقد اقتضت حكمة

المولى - سبحانه وتعالى - جعل أعمار هذه الأمة ما

(١) جزء من حديث أبي هريرة أخرجه ابن ماجه، د.ت،

مرفوعاً في السنن ١٤١٥/٢، ح ٤٢٣٦.

- كلف بها العبد في حياته. مما يشعر أن الوقت لا يكفي للقيام بكل المسؤوليات، والعمر أقصر من أن يؤدي فيه جميع الحقوق والواجبات، ناهيك عن إنجاز آمال الإنسان في تحقيق كثير من مشاريعه ومخططاته التنموية. ولذا فإن الدين راعى هذه المسألة رعاية عظيمة، فرتب الأجر العظيم على العمل القليل، وجعل البركة سنة عظيمة يحصل المرء من خلالها على منافع دينية ودنيوية ممتدة امتداداً عريضاً يتجاوز حدود المكان والزمان ووعي الإنسان. ومن هنا كان تحصيل البركة هدفاً مقصوداً لذاته حتى يكون للعمل أثره، وتبقى منفعته في الأجيال المتعاقبة.
- ولما لاحظت حديث القرآن الكريم عن البركة وعنايته بها، وأنها أصل عظيم يجب مراعاته عند وضع الخطط التنموية.. أحببت جمع الآيات التي تضمنت ذكر البركة ودراستها لمعرفة دلالات هذه الكلمة من خلال سياقها في النص القرآني، ومدى ارتباط البركة بمفهوم التنمية، وتحقيق أهداف الإنسان الشخصية والاجتماعية، وتعزيز قيم الأمن بمعناه الشامل..
- أهداف الدراسة**
- تتلخص أهداف الدراسة في النقاط التالية :
- ١ - بيان صيغ البركة ودلالاتها في القرآن الكريم.
 - ٢ - الكشف عن العلاقة بين حديث القرآن الكريم عن البركة وبين مقاصده.
 - ٣ - تأصيل مفهوم التنمية وسبل تحقيقها وفق
- الرؤية الشرعية.
- ٤ - دعم مسيرة الخطاب الديني المعاصر من خلال إبراز أثر تطبيق المفاهيم الشرعية في معالجة القضايا المعاصرة.
 - ٥ - بيان المنهج الوسطي في تحقيق البركة في ضوء القرآن الكريم.
 - ٦ - التعرف على الوسائل الشرعية في تحصيل البركة.
- تساؤلات الدراسة**
- ١ - ما المعاني التي دلت عليها صيغ البركة في القرآن الكريم؟
 - ٢ - هل هناك علاقة بين مقاصد القرآن وبين حديثه عن البركة؟
 - ٣ - متى تكون البركة مطلقة ومتى تكون مقيدة؟
 - ٤ - كيف تُؤصل قضايا التنمية من خلال مفهوم البركة؟
 - ٥ - كيف تتحقق الوسطية في فهم وطلب البركة؟
 - ٦ - ما هي القواعد العامة التي تضمن تحقق البركة؟
- منهج الدراسة**
- اتخذت الدراسة منهج التفسير الموضوعي في دراسة آيات البركة في القرآن الكريم، من خلال أحد أنواع التفسير الموضوعي؛ وهو التفسير الموضوعي

على محمد وعلى آل محمد: أدم له ما أعطيته من التَّشْرِيفِ والكَرَامَةِ. والبروك اللزوم والثبوت. ويوصف بها كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي. والبركة كالحوض والجمع البرك. يقال: سميت بذلك لإقامة الماء. ورجُلٌ مُبْتَرِكٌ: مُعْتَمِدٌ على شيءٍ مُلِحٍّ.

وليس لضدها اسم معروف، فلذلك يقال:

قليل البركة.

٢ - النماء والزيادة

الْبَرَكَةُ مُحَرَّكَةٌ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، وَبَرِكٌ: مُبَارَكٌ فِيهِ. وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه: وضع فيه الْبَرَكَةَ. وبركة الله: علو على كل حال. وعن ابن عباس: الْبَرَكَةُ: الْكَثْرَةُ فِي كُلِّ خَيْرٍ. وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه: لا ينقص مال من صدقة، لا إلى النقصان المحسوس.

والعلاقة بين الثبات والزيادة أن الزيادة مترتبة على الثبات وجوداً وعدماً، فلا زيادة بلا ثبات. أما الثبات فلا يلزم منه الزيادة والناماء.

والفرق بين البركة والزيادة: أن البركة: هي الزيادة والناماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهراً، فإذا عهد من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحس قيل: هذه بركة.

٣ - السَّعَادَةُ

قال الفراء في قوله: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ﴾ (هود: ٧٣) قال: البركات السعادة. والتَّبَرُّكُ: الدُّعَاءُ بِهَا. لأن رغد العيش وسعته وزيادته سبب من أسباب السعادة ومظهر من مظاهرها.

للمصطلح القرآني أو للمفردة القرآنية. باختيار لفظة البركة في القرآن الكريم وتتبع الآيات الواردة فيها، وجمعها وتفسيرها، ومحاولة استخدام دلالة هذه الكلمة من خلال استخدام القرآن لها^(٢).

موضوعات الدراسة

- المبحث الأول: معنى البركة في اللغة.
- المبحث الثاني: صيغ البركة في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: المعاني التي دلت عليها صيغ البركة.
- المبحث الرابع: تأصيل قضايا التنمية في ضوء مفهوم البركة.
- المبحث الخامس: وسطية الفهم لمعنى البركة.
- المبحث السادس: الوسائل الشرعية في تحصيل البركة.
- الخاتمة.
- النتائج والتوصيات.
- المصادر والمراجع.

المبحث الأول

معنى البركة في اللغة

يرجع اشتقاق كلمة (البركة) من الفعل (بَرَكَ) وهي تطلق في اللغة على عدة معانٍ متقاربة؛ منها:

١ - الثبوت والدوام والمواظبة

فالباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء. ثم يتفرع فروعاً يقارب بعضها بعضاً^(٣). وبارك

(٢) انظر: مسلم، ١٤١٠هـ، ص ٢٣.

(٣) ابن فارس، ١٤١١هـ، ١/٢٢٧.

٤ - اليَمْنُ

اليَمْنُ بالضم: البركة؛ كالميمنة.

يقال: (يُعن) الرجل على قومه بالبناء للمفعول فهو ميمون إذا صار مباركاً عليهم. و(اليَمِينُ) القوة والشدة^(٤).

المبحث الثاني

صيغ البركة في القرآن الكريم

وردت كلمة البركة في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة في خمس صيغ وهي: تبارك، وبارك، وبورك، ومباركة، بركات. وهذه الصيغ تكرر ورودها في الآيات التالية:

١ - صيغة تبارك

وقد جاءت هذه الصيغة تسع مرات في الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

- وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُوزًا﴾ (الفرقان: ١٠).

- وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١).

- وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨).

- وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١).

- وقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف: ٨٥).

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ^٥ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ^٦ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ^٧ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

٢ - صيغة بارك

وقد جاءت هذه الصيغة سبع مرات بلفظي بارك وباركنا في الآيات التالية:

(٤) الفيروز آبادي، ١٤١٥هـ، ١/١٢٠٥؛ ابن الأثير، دت، ١٢٠/١؛ مرتضى الزبيدي، دت، ٣٦/٣٠٢؛ ابن منظور، ١٤٠٨هـ، مادة «برك».

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٨).

٤ - صيغة بركات وبركاته:

وقد وردت هذه الصيغة ثلاث مرات في الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

- وقوله تعالى: ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۖ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨).

- وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۖ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود: ٧٣).

٥ - صيغة مبارك

وقد وردت هذه الصيغة اثنتي عشرة مرة في الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٢).

- وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٥).

- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ﴾ (فصلت: ١٠).

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقًا مَّشْرِقًا وَالْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

- وقال تعالى: ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

- وقال تعالى: ﴿ وَغَجِّنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١).

- وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨١).

- وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبا: ١٨).

- وقال تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات: ١١٣).

٣ - صيغة بورك

وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة في الآية التالية:

- وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

- وقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيْدِيْرُونَ أَتَيْنَاهُ وَلَيْتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦).

- وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١).

- وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩).

- وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (ق: ٩).

- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ...﴾ (النور: ٣٥).

- وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (النور: ٦١).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان: ٣).

- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَى

المبحث الثالث

المعاني التي دلت عليها صيغ البركة

بالنظر في مجموع تلك الصيغ من خلال ورودها في سياق النص القرآني يمكن تلخيص بعض المعاني التي دلت عليها تلك الصيغ فيما يلي:

أولاً: صيغ البركة الخاصة بالله تعالى

للبركة التي تضاف لله تعالى صيغتان؛ هما:

• صيغة (تبارك):

على وزن تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركة تكتسب وتنال بذكره^(٥). فالبركة تضاف إليه على هذه الصيغة إضافة الرحمة والعزة^(٦) فهي لا تطلق إلا على الله تعالى ولا تنسب إلا إليه سبحانه.

قال أبو حيان: (قال ابن عباس أيضاً والحسن والنخعي: هو من البركة وهي التزايد في الخير من قبله. فالمعنى: زاد خيره وعطاؤه وكثر، وعلى هذا يكون صفة فعل)^(٧).

قال ابن القيم: (وحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلًا منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين

(٥) البغوي، ١٤١٧هـ، ٢٣٦/٣.

(٦) انظر: ابن القيم، ١٤٢٧هـ، ٦٨٧/٢ - ٦٨٠.

(٧) أبو حيان الأندلسي، ١٤١٢هـ، ٤٤٠/٦.

الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر: ٦٤).

فالأيات بينت قصة خلق بني آدم وتاريخها
وتطور نشأتها، داعية بذلك الإنسان إلى الرجوع إلى
نفسه، والتدقيق في خلقه ليتعرف على قدرة الله تعالى،
وكمال إحسانه، وأنه بدون مباركته - عز وجل - في
خلقه لا يتحقق للإنسان النمو والتربية التي تحفظ له
البقاء والنشأة الحسنة ليخرج الإنسان إلى الدنيا متكامل
الخلق حسن الصورة، قادرا على الانطلاق في مناكب
الأرض يستخرج خيرها، ويستثمر ثرواتها بما يعود
عليه برغد العيش وهنائه.

فاختصاص الله - عز وجل - بصفة (تبارك)
يقتضي أن لا تطلب البركة إلا منه وحده، فهو المختص
بذلك - سبحانه وتعالى -، ولذا كانت البركة تحصل عند
ذكر اسمه كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ أَتَمَّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)، فالتسمية سبب في فتح الله
تعالى على عبده وتيسير أمره، كما أنها تحفظ العبد من
وسوسة الشيطان وشره.. فعن رجل كان رديف النبي -
صلى الله عليه وسلم - قال: عشر بالنبي -
صلى الله عليه وسلم - حماره، فقلت: تعس
الشيطان، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا
تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان،
تعظم وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت باسم الله،

المعنيين، وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظة معنى
الوصف لا الفعل، فإنه فعل لازم مثل تعالى وتقدس
وتعظم. ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره
عاليا ولا قدوسا ولا عظيما، وهذا مما لا يحتمله اللفظ
بوجه، وإنما معناها في نفس من نسبت إليه فهو المتعالي
المتقدس في نفسه، فكذلك (تبارك) لا يصح معناه بارك
في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظا ومعنى، وهذا
لازم وهذا متعدد، فعلمت أن من فسر (تبارك) بمعنى:
ألقي البركة وبارك في غيره لم يصب معناها، وإن كان
هذا من لوازم كونه تعالى متباركا، فتبارك من باب مجد،
والمجد كثرة صفات الجلال والكمال والسعة والفضل.
وبارك من باب أعطى وأنعم ولما كان المتعدي في ذلك
يستلزم اللازم من غير عكس فسر من فسر من السلف
اللفظة بالمتعدي ليتنظم المعنيين، فقال: مجيء البركة كلها
من قبله، وهذا فرع على تباركه في نفسه^(٨).

ومن عظيم هذه الصفة لله تعالى ختم بها بعض
الآيات التي تتضمن بيان عظم فضل الله تعالى على
خلقه، وسعة رحمته وامتنانه كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
مَكِينٍ ۖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).

وقوله تعالى في غافر: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

قال ابن منظور: (وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة^(١١)). أي أكثر خيره وزاده وأدامه. فالبركة على هذا هبة من الله تعالى وليست مكتسبة، يتفضل بها - عز وجل - على من يشاء من عباده، أو يخص بها ما يشاء من مخلوقاته، وفق علمه وحكمته - عز وجل -. ومادامت بيده سبحانه فلا يجوز أن تطلب البركة إلا منه وحده، ووفق السبل التي شرعها - سبحانه وتعالى -.

ثانياً: أنواع البركة

البركة التي جعلها الله تعالى في خلقه، وتفضل بها عليهم نوعان:

• النوع الأول: بركة مطلقة:

وهي البركة التي جعلها الله تعالى في الخلق والتكوين، وبها تتعدد منافع المخلوقات وتعتدل مسيرتها ويبقى نفعها الذي خلقت من أجله فلا يعثرها الخلل ولا الاضمحلال إلى أن يشاء الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقال تعالى عن الأرض: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجَافًا وَفَوْقَهَا بَنَافًا وَفَوْقَهَا بَنَافًا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ (فصلت: ١٠). فقله: ﴿وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾، أي إن الله تعالى

تصاغر حتى يصير مثل الذبابة^(١٢). وهذا من عظم بركة اسمه - عز وجل - فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعته منه البركة، فالذبيحة إذا لم يذكر عليها اسمه كانت ميتة، وإن كان طعاما شارك صاحبه فيه الشيطان، وهكذا فإن ذكر اسم الله تعالى عند بدء القيام بالعمل سبب عظيم من أسباب جلب البركة فيه، حيث يتيسر أداء العمل، ويفتح الله تعالى لعبده من أبواب الخير والتوفيق والإعانة ما يجد به ثمرات عمله الذي يؤديه.

قال ابن كثير: (فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا، واستعانة على الإتمام والتقبل^(١٣)).

• صيغة (بارك):

وهذه الصيغة تدل على البركة المضافة إلى الله تعالى إضافة مفعول إلى فاعله. قال تعالى في وصف المسجد الأقصى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ١)، ف(بارك) في الآية الكريمة تعدى بنفسه، وقد يتعدى بأداة (على) كما قال - سبحانه وتعالى - عن إبراهيم وإسحاق عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ (الصافات: ١١٣). أو بأداة (في) كما قال تعالى عن خلق الأرض: ﴿وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾ (فصلت: ١٠)، والمفعول (مبارك).

(٩) أخرجه أحمد (١٩٩/٣٤) ح (٢٠٥٩٢)، وهو حديث صحيح كما حكم عليه محقق الجزء (٣٤) من المسند. (ابن حنبل، ١٤٢٩هـ).

(١٠) ابن كثير، دت، ١٩/١.

(١١) انظر: ابن منظور، ١٤٠٨هـ، مادة «برك».

ولما كان الماء هو سبب الحياة جاء النص على بركة المطر وعظيم نفعه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۝ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ٩-١١).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)، فالمطر هو سبب الحياة، ومن خلاله تنتشر الرحمة على العباد والبلاد، وينزوله يتضاعف الخير ويعم الرخاء ورغد العيش ويزدهر الاقتصاد.

وفي معركة بدر كان المطر سببا من أسباب انتصار المسلمين حين نزل عليهم فتطهروا به وأذهب الله تعالى به عنهم كيد الشيطان ووسوسته، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْلُغَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

ولفضل المطر شرع التعرض له عند نزوله رجاء بركته، كما كان فعله - صلى الله عليه وسلم - فعن أنس - رضي الله عنه - قال: أصابنا ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مطر قال: فحسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوبه حتى أصابه من

أكثر الخير في الأرض وجعله مستمرا مستقرا، فهي لا تضيق بأحد من الخلق بل تستوعب توالي الأمم والجماعات على تعاقب الأزمنة، والحياة عليها في تقدم وازدهار مهما استخرج ما فيها من خيرات وثروات. وهي مهياة لأن يتكيف الإنسان مع اختلاف ظروفها البيئية تكيفا يستطيع من خلاله أن يعمرها ويقاوم الحوادث والكوارث التي قد تعثر بها. ولو انعدمت الحياة أو استحالت في بقعة من البقاع فإنها تتسع في بقاع كثيرة منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُجَازِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۝﴾ (النساء: ١٠٠)، والمراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاطة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك يحصل له سعة في رزقه^(١٢).

قال الزحيلي: (وَبَارَكَ فِيهَا أَي جَعَلَ الْأَرْضَ مباركة كثيرة الخير، بما خلق فيها من منافع العباد، إذ جعل تربتها مصدرا للخير والرزق بإنبات النباتات المختلفة فيها، وإيداعها الثروة المعدنية والنفطية والمائية)^(١٣).

ووجود حالات فقر شديد، أو مجاعة وموت جماعي في أمة من الأمم إنما يأتي من سوء تعامل الإنسان مع مصادر الرزق، وليس من قلة تلك المصادر لأن الله تعالى جعل فيها البركة التي بها يعم الخير كل سكان الأرض.

(١٢) السعدي، ١٤٢١، ص ١٩٦.

(١٣) الزحيلي، ١٤١٨هـ، ١٩٤/٢٤. وانظر: سيد قطب، ١٤١٤هـ، ٢٨٦/٦.

المطر فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه تعالى»^(١٤) وعلق النووي بقوله: (ومعناه أن المطر رحمة وهي قربة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها).

إلا إن الانتفاع بالمطر مرتين بمقدار نزوله فالزيادة في مقداره مسببة للفيضانات والإغراق والإفساد، كما أن نقصه عن المقدار المطلوب مسبب للقط والجوع، ولذا فإن الله تعالى ينزله وقت الحاجة لنزوله بمقدار الحاجة له ثم يصرفه عند الضرر بدوامه كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَدِيرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨).

وفي حديث الاستسقاء عن أنس - رضي الله عنه - قال: أصاب أهل المدينة قحطٌ على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبينما هو يخطبنا يوم الجمعة إذ قام رجلٌ فقال يا رسول الله هلك الكراع هلك الشاء فادع الله أن يسقينا فمد يديه ودعا - قال أنس - : وإن السماء لمثل الزجاجة فهاجت ريحٌ ثم أنشأت سحابةٌ ثم اجتمعت ثم أرسلت السماء عز إليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم ينزل المطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله أن يحبسهُ فتبسّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: «حوالينا ولا علينا». فنظرت إلى السحاب يتصدع حول

الْمَدِينَةِ كَأَنَّهُ إِكْلِيلٌ^(١٥).

• النوع الثاني: بركة مقيدة

وهي البركة المقيدة بطاعة الله تعالى وفق ما شرع، ولذا فإنها خاصة بعباد الله المؤمنين الذين أطاعوا الله تعالى واتبعوا رسوله، وهي التي فرقت بين رزق المؤمن ورزق الكافر، وبها تميز أثر عمل المؤمن وثمرته من عمل الكافر ونتيجته كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ آتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَتَّبِعَتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥).

فصدقة المؤمن يتضاعف أجرها، ويزيد نفعها، وتبقى فائدتها مثلها مثل الجنة التي يصيبها المطر فيزداد خيرها، ويتضاعف محصولها. أما صدقة المنافق فهي منزوعة البركة لأنها لم تكن خالصة لله تعالى، فمثلها مثل الصخرة الصماء التي ينزل عليها المطر فلا تنتفع منه لأنها ليست أرضاً تحتفظ بالماء لينتفع به. وذلك كما قال تعالى عن الفرق بين الربا والصدقة: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزَيِّدُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

يعول عليها عند الطلب، وانتزاعها من العمل مهدد كبير لأمن الفرد والمجتمع، وسبب من أسباب جعل الفائدة والعائد على الإنسان قليلة بالنسبة لما يبذله من جهد ووقت في تحصيل الخير والتنعم بوفرته وبقائه واستمراره. ونزول البلاء من قحط وجوع وقلة موارد أو زيادة الأسعار وعدم تحقق الكفاية من الرزق راجع في حقيقته إلى انتزاع البركة المقيدة، وليس لنقص أصل البركة التي أوجدها الله تعالى في الأرض. وهذا أصل عظيم يجب التفطن له عند طرح برامج معالجة مشكلات الفقر ونقص الثروة وسوء توزيعها، فنقص الثروة في مكان ما إنما هو ناشئ عن غياب مراعاة تحقق البركة المقيدة، والتهاون في مباشرة أسباب موانعها بسن الأنظمة والقوانين المخالفة لشرع الله تعالى وتوجيهاته التي أمر بها أو نهى عنها، ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى لا بد أن يقع في الظلم والجور والاعتداء والبعد عن سبيل الخير والحق الاعتدال كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

فالحكم بشرع الله تعالى، وسن الأنظمة المختلفة وفق ضوابط شرعه هي الضمان لوجود العدل في كافة جوانب الحياة، الأمر الذي يعزز قيم الخير، وينشر آثاره بين الناس، مما يجعلهم ينعمون بالأمن والاستقرار الذي يمكنهم من بذل المعروف والتعاون على بناء مجتمعهم بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالتقدم والرفي والازدهار الحضاري في أرقى معانيه.

(البقرة: ٢٧٦)، ومحق الربا إنقاصه، وقوله: «وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ»، أي إن الله تعالى يُضاعف أجرها، يربُّها وينمِّيها له وبارك فيها..^(١٦).

وقد جاءت المقارنة بين نتيجة عمل المؤمن وعمل الكافر فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۖ وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۖ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٢ - ٢٤).

قال ابن كثير: (وهذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجية لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معا، فتكون أبعد من القبول حينئذ)^(١٧).

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعٍ يَخْسَبُهُ الظُّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩).

إن البركة المقيدة هي البركة المقصودة والتي

(١٦) الطبري، ١٤١٨هـ، ٣/١٠٥.

(١٧) ابن كثير، دت، ٦/١١١.

ثالثاً: البركة وتحقيق الأمن المجتمعي

تميز الإسلام بتحية السلام التي تتضمن ترسيخ قيم السلام في نفوس المسلمين، وتجعله القاعدة التي تبنى عليها العلاقات بين الناس، لذلك رتب الأجر العظيم على إفشاء السلام وأوصى به.. فالسلام منهج رباني شرعه الله تعالى بين المؤمنين عند اللقاء، ووصفه - عز وجل - بالبركة لثبوت الخير فيه ودوامه وزيادته. قال تعالى: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور: ٦١)، فالسلام تحية من الله تعالى لأنه يتضمن الدعاء للآخرين بالحياة والبقاء، وفي ذلك استجلاب مودة المؤمنين بعضهم مع بعض حتى يكونوا على قلب واحد، فينفي عنهم الأحقاد والضغائن المسببة للنزاع والشقاق وما يترتب عليها من فوات الخير والأجر العظيم، ولذلك كانت طيبة لأن سامعها يستطيع سماعها^(١٨).

قال ابن القيم: (لقد شرعت التحية متضمنة للثلاثة فقوله سلام عليكم يتضمن السلامة من الشر وقوله ورحمة الله يتضمن حصول الخير وقوله وبركاته يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره)^(١٩).

تعزيز العلاقات الاجتماعية وتعميق أواصر المحبة بين الناس مطلب شرعي وقيمة أساسية يبنى عليها

تحقيق مصالح المجتمع، لأنها البيئة الصالحة والمحضن الطبيعي لتنمية قيمة الانتماء التي بها يحفظ أمن المجتمع واستقراره ورغد عيشه. والإنسان بطبعه يحب الاجتماع مع بني جنسه، ولا يجد سعادته وراحته إلا في ظل علاقات حميمة قوية تربطه بمن حوله تدفعه للتعاون معهم على الخير ويذل ما يمكن بذله لأجل مصلحة الجماعة والرقي بمستواها ورفاهيتها. ولا يخالف ذلك إلا من انتكست فطرته، أو اضطربت نفسه، وضعف تفكيره وفهمه.. إن إفشاء السلام يسهم في تعزيز قيمة الخير ويوصل معانيها بين الناس مما يثمر المحبة وتتألف القلوب وتبقى حال الوصال وحباله ممتدة بين الأجيال..

قال الراغب: (التحية أن يقال حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار، ثم يجعل دعاء. ويقال حياً فلان فلانا تحية: إذا قال له ذلك، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة، أو سبب حياة إما في الدنيا وإما في الآخرة، ومنه التحيات لله)^(٢٠).

إن هذه التحية إحدى خصائص الإسلام، ومن خلالها تسود الأخوة والمحبة فتتعمق العلاقات الاجتماعية ويشيع السلام والأمن الاجتماعي بين الناس فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام

(١٨) انظر: القرطبي، ١٤٢٧هـ، ٣١٣/١٢.

(١٩) ابن القيم، ١٤٢٧هـ، ٤٠٤/٢.

(٢٠) الراغب الأصفهاني، د.ت، ص ١٤٠.

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعلاقات الخارجية.

وللتنمية بمفهومها الواسع أهداف لا تقتصر على الأهداف الاقتصادية، بل تتعداها إلى أهداف أخرى غير اقتصادية. والسعي لتحقيق التنمية يعني العمل على جهات متعددة في نفس الوقت لتحقيق تلك الأهداف، ومن أهم هذه الأهداف:

١ - زيادة إنتاج السلع والخدمات ذات القدرة على إشباع الحاجات الأساسية للبشر والتحرر من الفقر والعوز والجهل والمرض.

٢ - رفع مستوى الحياة البشرية وتوفير فرص أفضل لتحقيق الذات لكل البشر وتمكينهم من إطلاق طاقاتهم على العطاء والإبداع.

٣ - تحرير الإنسان من المهانة، وإفساح المجالات لممارسة الحريات وللمشاركة في اتخاذ القرارات، وتحرير الاقتصاد من التبعية للاقتصاد الرأسمالي وزيادة درجة اعتماد المجتمع على ذاته. وتمكين المجتمع من السيطرة على شروط تجده وتطوره.

ولذا فإن التنمية في بلاد العالم الثالث تطرح عدداً من القضايا من أبرزها ما يلي:

أ. قضية التنمية المستقلة وتعني إحداث تغيير جوهري في الوضع غير المتكافئ للدولة النامية من خلال تطوير عناصر القوة الذاتية للمجتمع، ورفع درجة الاعتماد على القدرات الوطنية إلى أقصى حد مستطاع في تحقيق التنمية، لأن ذلك سيزيد حصانة

بينكم^(٢١)، ولذا كانت من أعظم الأعمال في الإسلام، وأكد عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وجعلها من حق المسلم على أخيه المسلم.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «حق المسلم على المسلم ست قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه. وإذا دعاك فأجبه. وإذا استنصحك فانصح له. وإذا عطس فحمد الله فسمته. وإذا مرض فعده. وإذا مات فاتبعه»^(٢٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - : «أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٢٣).

المبحث الرابع

تأصيل قضايا التنمية في ضوء مفهوم البركة

قبل الكشف عن تأصيل قضايا التنمية في ضوء مفهوم البركة، وأثر البركة في تحقيق أهداف التنمية لابد من وقفة قصيرة تتعلق ببيان معنى التنمية وبيان أبرز قضاياها التي تحدث عنها المتخصصون في الدراسات التنموية.

فالتنمية ظاهرة تتضمن حدوث تغيير في الهياكل

(٢١) مسلم، دت، ٧٤/١، ح ٩٣.

(٢٢) مسلم، دت، ٣٩/٤، ح ٥.

(٢٣) البخاري، ١٤١٠هـ، ١٣/١، ح ١٢.

حول البشر من خلال انتفاعهم بقدراتهم وبالتحسينات فيها سواء في مجال العمل أو التمتع بوقت الفراغ. فالتنمية البشرية تعني توسيع الخيارات أمام الناس بتمكينهم من الحصول على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة، ويتمكنهم من العيش حياة طويلة خالية من العلل، ومن أن اكتساب المعارف التي تطور قدراتهم وتساعدهم على تحقيق إمكاناتهم الكامنة وبناء ثقتهم بأنفسهم وتمكنهم من العيش بكرامة والشعور بالإنجاز واحترام الذات^(٢٤).

هـ. قضية الحكم ويتعلق بمباشرة السلطات أو الصلاحيات السياسية والاقتصادية والإدارية في إدارة شئون المجتمع والدولة على المستويات كافة، كما إنه يتناول الآليات والعمليات والعلاقات والمؤسسات التي تمكن الفرد والجماعة من التعبير عن حقوقهم والتمتع بها، وأداء التزاماتهم، وتسوية خلافاتهم، ولذا فإن مفهوم الحكم يركز على بناء أو تحسين القدرات على مستوى الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وعلى مستوى الحكم المحلي، وعلى مستوى منظمات المجتمع المدني، وعلى مستوى القطاع الخاص والعام.

وهكذا نخلص إلى أن التخطيط للتنمية لا بد أن ينطلق من منطلقين؛ أحدهما: منطلق يبدأ بالإنسان فيحرره من التبعية والخضوع لغيره، ويطلق طاقاته الإبداعية لعمارة الأرض، بما يعود على الفرد والمجتمع بالخير والأمن ورغد العيش. وهذا في الواقع لن يحدث

المجتمع ضد الهيمنة الأجنبية، كما إنها ستسهم في تحرير الطاقات الكامنة للمواطنين وإطلاق قدراتهم المحبوسة على العطاء والإبداع ويجعل اعتماد التنمية على الطاقات البشرية. فالإنسان في مفهوم التنمية المستقلة غاية التنمية وهدفها فلا بد أن تولي التنمية المستقلة اهتماما كبيرا للبشر وتطوير قدراتهم على الابتكار والإبداع واستعادة ثقتهم بأنفسهم التي ضربها الاستعمار، ويبرزها بوجه خاص إعادة تشكيل برامج التعليم والثقافة لدعم قيم العمل المنتج وبناء روح المشاركة وإيقاظ الضمير الوطني.

ب. التنمية المطردة وهي تلك التنمية التي تؤمن إشباع حاجات الأجيال الحاضرة دون الانقصاص من قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بمحاجاتها. والسبيل إلى ذلك تنمية قاعدة الموارد الحالية، وأي خطط لتحسين البيئة يجب أن تتضمن برامج للحد من الفقر في البلدان النامية، باعتباره سببا مباشرا من أسباب تخريب البيئة وتآكل قاعدة النمو في الحاضر والمستقبل.

ج. قضية الحريات والمشاركة الديمقراطية: إن التنمية لا تتم بصورتها الصحيحة الفاعلة إلا بالسعي إلى إشراك جميع أفراد المجتمع في اتخاذ القرار الذي يمسهم ويمس حياتهم وحياة أبنائهم، وذلك يجعل الجميع يتجه لتعزيز برامج التنمية ويسعى لتحقيق أهدافها، ويحفظ المجتمع من انتشار الفساد، أو استئثار مراكز القوى بمنافع التنمية لصالحها.

د. قضية تنمية البشر، فالتنمية البشرية تتمحور

(٢٤) العيسوي، ١٤٢٠هـ، ص ١٨ وما بعدها.

والثالث: أن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة، ولذا فإن التنمية البشرية تطرح ثلاث قضايا أساسية متداخلة وهي: (التربية، والصحة، والاقتصاد) إلا أن التربية هي القاعدة التي تقوم عليها القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها، بمعنى أن التربية تظل القوة المسيطرة على العمليات التنموية من خلال عملياتها وطبيعتها وعلاقتها بالمجتمع^(٢٥). ومتى كانت كفاءة النظام التربوي دون المستوى المنشود ويعاني من مشكلات وصعوبات فإن آثار ذلك سينعكس على تحقق أهداف التنمية. فالتنمية مرهونة بقدرة النظام التربوي على أداء وظائفه تجاه مطالب المجتمع. ومن هنا كان لابد من إعادة النظر في مواصفات البرامج التربوية المطروحة ومدى استيفائها للشروط التي من خلالها تتحقق التنمية الدائمة، إذ لا بد أن تكون البرامج التربوية الصحيحة التي من خلالها نضمن تحقق أهداف التنمية برامج تراعي شروط وجود البركة المقيدة فيها. وذلك يكون من خلال مراعاة النقطتين التاليتين:

أولاً: مراعاة منهج التربية الذي ينبغي أن يعتمد عليه في بناء النظام التربوي.

فلا بد أن يكون ذلك المنهج متسقاً مع شروط تحقق البركة داخل منظومة واحدة لا ينفك عنها، فلأن قلنا إن البركة بمعناها المقيد مرتهن وجودها باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فلا بد أن يكون المنهج التربوي

إلا بتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، والانطلاق إلى فسحة التوحيد، ورحاب الإيمان. ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى.

والثاني: منطلق يعنى بالأنظمة الضابطة لحياة الإنسان فيجعلها أنظمة عادلة بعيدة عن تطرف البشر ومزالق الأهواء، قادرة على جعل منهج الناس في حياتهم منهجاً واحداً واضحاً لا تناقض فيه أو تفرق، وذلك لا يكون إلا في طريق الإسلام الذي أمر الله باتباعه وحذر من الطرق الأخرى التي لا تحقق في نهايتها أي مكاسب أو نتائج صحيحة؛ ومن ثم فإن خطط التنمية لابد أن تحذر منها وتجنبها وإلا فلن تصل التنمية إلى مرادها، وسنجد عند ذلك أموالاً تنفق ومشاريع تفتتح ولكن مظاهر التنمية ضعيفة وأحوال المجتمع في تراجع مستمر.

والواقع إن هناك علاقة قوية بين معنى البركة من حيث إنها تتضمن وجود الخير وغياب عدم اضمحلاله، وبين التنمية بما تقدم بيانه، وتلك العلاقة تتضح من وجهين: الوجه الأول: علاقة التلازم بين معنى البركة التي هي دوام الخير وزيادته وبين أهداف التنمية.

فالتنمية عملية يتم بمقتضاها تغييرات في بنية المجتمع ووظائفه بما يحقق نضوجه. وهي تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس، وهذه الخيارات تركيزها في ثلاثة ميادين؛ أحدها: أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، والثاني: أن يكتسبوا المعرفة،

(٢٥) الشراح، ١٤٢٣هـ، ص ٢٦٢.

كذلك منطلقاً من المبدأ ذاته، بمعنى أن يكون منهجاً تربوياً ريانياً يهدي أصحابه إلى خير السبل الموصلة لله - عز وجل - ولذلك جاءت رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين بإنزال القرآن العظيم الذي يرسم منهج التربية، فيوضح حدوده، ويبرز معالمه، فمن هدي إليه هدي لطريق الخير والنجاة والسعادة. فهو كتاب مبارك والأخذ به ضمان حقيقي لحصول البركة. قال تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

فالله تعالى خص القرآن بالبركة دون سائر الكتب السابقة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١).

ثم قال بعد أن وصف التوراة بالنور والهدى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٢)، فوصف القرآن بالبركة دون التوراة؛ لأن القرآن أبقى من التوراة وأكثر خيراً وفائدة وكمالاً وإعجازاً ولذا كان ناسخاً لها ومهيماً عليها.

قال محمد رشيد رضا: ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ بَارَكَهُ اللَّهُ أَوْ بَارَكَ فِيهِ يَمَّا فَضَّلَ بِهِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ فِي التَّنْظِيمِ وَالْمَعْنَى، وَيَمَّا يَكُونُ مِنْ ثَبَاتِهِ وَبَقَائِهِ إِلَى آخِرِ عُمْرِ نَاسِهَا وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهَا.

قال محمد رشيد رضا: ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ بَارَكَهُ اللَّهُ أَوْ

بَارَكَ فِيهِ يَمَّا فَضَّلَ بِهِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ فِي التَّنْظِيمِ وَالْمَعْنَى، وَيَمَّا يَكُونُ مِنْ ثَبَاتِهِ وَبَقَائِهِ إِلَى آخِرِ عُمْرِ

البشر في الدنيا، هو من «البركة» وهي - بالتحرريك - النماء والزيادة والسعة النافعة كبركة الماء. ومن معاني المادة الثبات والاستقرار كبركة البعير^(٢٦).

ولذا فإن تدبر القرآن الكريم واتباع توجيهاته وتزكية النفس وتربيتها وفق أسسه وقواعده، وقيمه التي بينها ووضحها أتم بيان؛ هي السبيل لتحقيق البركة في حياة العبد التي بها ينال أهدافه التنموية في جميع مجالات الحياة كما قال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٥). فقله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ جعل الله تعالى الاتباع والتقوى التي تتضمن مراقبة الله تعالى في السر والعلانية بالتزام عبادته علة وجود الرحمة التي تشمل كل خير يناله العبد، من التوفيق والتيسير والفتح والتمكين وغيرها من وجوه رحمة الله على عبده. فالفاء في قوله: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فإن بركة هذا الكتاب وعظيم خيره ينالها العبد بحسب اتباعه للقرآن الكريم^(٢٧).

قال مقاتل: (فهو بركة لمن آمن به)^(٢٨).

وبذلك صار تحقيق البركة في حياة الناس مقصداً من مقاصد القرآن الكريم، فالقرآن ما نزل إلا للعمل به والاحتكام إلى أوامره، ومن فعل ذلك صارت له الرحمة وبارك الله له في رزقه.

(٢٦) علي رضا، ١٩٩٠م، ١١٦/٧.

(٢٧) العمادي، دت، ١٦٣/٣.

(٢٨) مقاتل الأزدي، ١٩٧٩م، ٣٧٩/١.

أَلْقَرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾
(الأعراف: ٩٦).

فالله تعالى وعد عباده المؤمنين المتقين بفتح
بركات السماء والأرض عليهم، وتوعد المكذبين بالهلاك
ورفع الرحمة والبركة عنهم، ونزول العقبات والمحن
بهم. ولم ترد صيغة البركة بالمفرد لأن في جمعها إبراز
كثرتها وتنوعها وشمولها واستمرارها وبقائها وتتابعها
بلا انقطاع. وهي بركات مادية ومعنوية أرضية وسماوية
ظاهرة وخفية فردية وجماعية.. فهناك من الاحتياجات
للعباد ما لا يدركه علمه ولا يسعه طلبه يتفضل الله به
على عباده المتقين بركة منه وفضلا.

قال ابن عاشور: (والفتح هنا استعارة للتمكين،
كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَسَوَّأَ مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بِغَتَّةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْتَلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤). وتعدي
فعل الفتح إلى البركات هنا استعارة مكنية بتشبيه
البركات بالبيوت في الانتفاع بما تحتويه، فهنا استعارتان
مكنية وتبعية، وقرأ ابن عامر: (لَفَتَحْنَا) بتشديد التاء
وهو يفيد المبالغة. والبركات: جمع بركة، والمقصود
من الجمع تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء
المباركة^(٣٠).

قال ابن عاشور: (والمبارك اسم مفعول من
باركه، وبارك عليه وبارك فيه، وبارك له، إذا جعل له
البركة. والبركة كثرة الخير ونماؤه، والقرآن مبارك لأنه
يدلّ على الخير العظيم، فالبركة كائنة به، فكأنّ البركة
جعلت في ألفاظه، ولأنّ الله تعالى قد أودع فيه بركة
لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة، ولأنّه
مشتغل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها
بالمعارف النظرية ثم العملية. فكانت البركة ملازمة
لقراءته وفهمه^(٣١).

إن إثبات هذه الخصوصية — البركة — للقرآن
الكريم نفي عما سواه من المناهج التربوية مهما نالت
من الاستحسان والانتشار.. لأن بركة القرآن الكريم
وما يتضمنه من منهج تربوي رباني تمثلت في مراعاة
الشمولية والتوازن في أمور الدنيا والدين، وفي حياة
الفرد والجماعة، وفي ظواهر الأمور وبواطنها، وفيما
لا يحيط به وعي الإنسان أو علمه. كما قال تعالى: ﴿أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

ثانياً: ربط مشاريع التنمية وأهدافها بمقصد
القرآن الكريم في تحقيق التقوى.

جعل الله تعالى سنة وجود البركات بمعنى بقاء
الخير ونموه وتضاعف آثاره مرهونة بتقواه — عز وجل —
والتي تعني تطبيق شرعه والاحتكام لكتابه، ففقدانها
يفضي إلى هلاك الأمم وضياع المصالح، وحدوث
الأزمات والكوارث الطبيعية. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

(٣٠) ابن عاشور، دت، ٢١/٩.

(٢٩) ابن عاشور، دت، ٣٦٩/٧ — ٣٧٠ ملخصاً.

وتقدم معنا أن أصل البركة المواظبة على الشيء. أي أن بركات الأرض والسماء مستمرة في النزول غير منقطعة منضبطة مع سنن الله تعالى في تدبير شؤون خلقه، وترتيبه لهم بما يصلح حالهم.. ويحقق لهم الرخاء الاقتصادي والحياة الكريمة والسلامة من الآفات والعلل والأمراض كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوَزْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَبِمِنْ فَخْرٍ أَرْجَاهُمْ^٤ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ^٥ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ^٦ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ^٧ وَإِن تُطِيعُوا تَهْتَدُوا^٨ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ^٩ الْمَعِينِ^{١٠} ۝ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا^{١١} يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا^{١٢} وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^{١٣} ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور: ٥٤ - ٥٦).

والبركة بعمومها تنقص بقدر نقص تقوى الله تعالى ما يسبب الوقوع في المعاصي والذنوب، وكلما عظمت المعصية عظم نقص البركة. كما قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ^{١٤} وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

قال ابن كثير: (يخبر الله تعالى أنه يحق الربا،

أي: يذهب، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يَحْرِمَهُ بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ^{١٥} ۝ ﴾ (المائدة: ١٠٠)، وقال: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبَا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ^{١٦} ﴾ (الروم: ٣٩).

وقال ابن جرير: في قوله: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا^{١٧} ﴾ وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الربا وإن كثر فإلى قُلٍّ»^(٣١).

وإذا بلغت المعصية درجة الشرك والكفر انتفت البركة عن رزقه، ولذا فإن الله تعالى عاقب القرى التي كذبت الرسل بالموت والهلاك ونقص الرزق وفقدان البركة كما قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ^{١٨} جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ^{١٩} بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ^{٢٠} ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ^{٢١} ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ^{٢٢} ۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهَرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ^{٢٣} سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِينَ^{٢٤} ۝ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيِّنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ^{٢٥} ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ: ١٥ - ١٩).

(٣١) الطبري، ١٤١٨هـ، ١٠٥/٣.

الحدود إذا أقيمت، انكف الناس - أو أكثرهم، أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محاق البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم - عليه السلام -، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فياكل من الرمانة الفتام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ ولهذا ثبت في الصحيح: «إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب».

ولهذا أخرج الإمام أحمد بن حنبل عن أبي قحزم قال: وجد رجل في زمان زياد - أو: ابن زياد - صرة فيها حب، يعني من بر أمثال النوى، عليه مكتوب: هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل^(٣٢).

والمصائب إذا نزلت فهي في حق المؤمنين ابتلاء واختبار وزيادة أجر، وفي حق الكافرين نقص وفناء وزهاب بركة قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١)، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي يختبر الذين آمنوا، حتى يخلصهم

(٣٢) ابن كثير، دت، ٦/٣٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ^٤ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٥) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧) فَتَاتِذَا الْقُرْيُ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَآيَنَ السَّبِيلِ^٥ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُوا عِنْدَ اللَّهِ^٦ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ (٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِّنْ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٠) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٣٣ - ٤١).

قال ابن كثير: (ومعنى قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي. وقال أبو العالية: مَنْ عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «لَحْدٌ يَقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يَمْطُرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا». والسبب في هذا أن

أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ (الطور: ٢١)، ويدل على المعنى الثاني: ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الرجل لترفح درجته في الجنة فيقول أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك»^(٣٤).

٢ - إنها تعزز قيمة إحسان وإتقان في أداء العمل، وترسخ معالمها في أدائه؛ لأن البركة لا تتحقق في العمل إلا إذا التزم صاحبها بالوجه المشروع لقبول العمل وهو الإخلاص والمتابعة، فمن شأن الإخلاص أن صاحبه يمتنع عند أداء العمل عن الرياء والسمعة التي تجعل الإنسان يركز على ظواهر الأمور ويغفل عن باطنها، فلا يفقه معنى القيم، ناهيك عن تفعيلها في الواقع وسبل تحصيل رضى الله فيها، أما المتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم - عند أداء العمل فهي تحفظ العمل من التطرف في أدائه بحيث يتشدد الإنسان في تحسين عمله وإتقانه، أو يتهاون ويقصر ويفرط عند أداء عمله. وبذا يكون شرطاً للمتابعة والإخلاص ضماناً حقيقياً لجودة العمل، مما يجعله أهلاً للبركة، وآثار نفعه لا تنقطع حتى لو مات صاحبه بل يبقى يستفيد منه من يخلفه، ويبقى أجر العمل مستمراً والإنسان تحت الشرى مواري في قبره، كما أخبر بذلك - صلى الله عليه وسلم - في قوله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوله»^(٣٥).

(٣٤) ابن ماجه، دت، ١٢٠٧/٢.

(٣٥) الترمذي، دت، ٦٦٠/٣.

بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم وبقينهم. ﴿وَيَمَحِّقُ الْكُفْرِينَ﴾، أي: أنه ينقصهم ويفنيهم^(٣٦).

فالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى والتزام أوامره ونواهيه هي الضمان لتحقيق أهداف التنمية وحماية الإنسان من الأمراض والعلل وما يسبب هلاكه، وهي أيضاً السبيل لرغد العيش ونزول الخير كما قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَجَنَّتْ لَكُمْ جَنَّتٌ وَتَجْعَلْ لَكُمْ نُجْرًا﴾ (نوح: ١٠-١٢).

الوجه الثاني: شمول البركة لأهداف التنمية وعموم أثرها:

إن أهداف البركة المقيدة أكثر شمولاً وأضمن بقاءً وأعظم اتساعاً من أهداف التنمية؛ وذلك لأسباب منها ما يلي:

١ - امتداد آثار البركة إلى أجيال متعاقبة، فإن صلاح الإنسان وخيرته تمتد آثارها إلى أبنائه في دار الكرامة حيث يرفعون مقاماً في الجنة بسبب صلاح الآباء، وكذلك بصلاح الأبناء ودعائهم يرتفع الآباء منازل في الجنة. ويدل على المعنى الأول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا

(٣٣) الطبري، ١٤١٨هـ، ٤٥١/٣.

أي حدث تاريخي في حياته، فكل ذلك ليس عليه دليل شرعي ومما يوقع الإنسان في الشرك أو في البدعة أو في المعصية؛ حسب درجة مخالفته وحسب اعتقاد الشخص عند أداء عمله الذي يطلب من خلاله البركة^(٣٦).

ثانياً: التفريط في طلب البركة، وهو على وجهين:

أحدهما: تهاون الإنسان في طلب البركة من حيث عدم الأخذ بالأسباب الشرعية الجالبة لها، وعدم استحضار أثرها في بقاء الرزق وامتداد أثره ونفعه، والغفلة عن أهمية تحققها في العمل الذي يقوم به الإنسان. وضعف التميز بين رزق الكافر ورزق المؤمن، وقد جاءت سنة الله تعالى يجعل رزق الكفار متاعاً، ورزق المؤمنين مباركاً كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ^١ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ^٢﴾ (٢٨: هود)، فلما كان ما أعطى الله تعالى لنوح - عليه السلام - ومن آمن معه عطاء دائماً باقياً في عقبه قال له: ﴿أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ﴾ وأما الأمم الكافرة فقد وصف عطاءهم بأنه متعة ولذا توعدهم بالعذاب الأليم؛ لأن سعادتهم وقتية ومنقضية بانقضاء الدنيا.

قال الأزهري: فأما المتأخّر في الأصل فكل شيء

فالعلم النافع والولد الصالح والصدقة الجارية كلها تدور حول تحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم، ولذا فإن بركتها لا تنقطع بموت صاحبها.. بل هي في نمو وزيادة، تسعى دائماً لرقى المجتمع ونمائه.

فالتنمية البشرية إن لم ترتبط بأهداف عليا ممتدة لما بعد الموت فلن يكون لتلك البرامج والخطط التنموية فائدة حقيقية، لخلوها من عنصر الشمولية والديمومة.

المبحث الخامس

وسيطيّة الفهم لمعنى البركة في القرآن الكريم

يقع كثير من المسلمين في الإفراط أو التفريط في طلب البركة، ولذا كان لابد من توضيح كلا الجانبين ليميز طريق الوسط بينهما.

أولاً: الإفراط في طلب البركة، ويقع على وجهين:

أحدهما: التبرك بما لم يرد الدليل الشرعي على بركته، لأن البركة من الله تعالى فالله - عز وجل - هو الذي يبارك والمخلوق هو المبارك فيه؛ لذا فإن معرفة أنواع المخلوقات التي بارك - عز وجل - فيها لا يكون إلا بنص شرعي من الكتاب والسنة.

الآخر: التماس البركة من الشيء المبارك فيه بصورة غير مشروعة كمن يتمسح بأستار الكعبة، أو مقام إبراهيم، أو أعمدة المسجد الحرام أو أماكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم يمسح جسده اعتقاداً منه أن البركة تنتقل إليه بهذا التمسح. أو التبرك بالنبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كالتبرك بقبره أو ليلة هجرته أو

(٣٦) انظر: الجديد، ١٤٢٤هـ، ص ٤٢٠.

يُنْتَفَعُ بِهِ وَيَتَّبِعُ بِهِ وَيُتَزَوَّدُ وَالْفَنَاءُ يَأْتِي عَلَيْهِ^(٣٧).

والآخر: الجهل بأن البركة لا تنال إلا بالتخطيط والسعي من أجل تحصيلها، فيطلق من يجهل هذا الأمر؛ البركة على كل عمل يؤدي دون تخطيط أو سعي. فيقول في ذلك: أنا أسير في حياتي بالبركة، أو فعلت هذا بالبركة. أي بدون وعي واستيعاب لذلك العمل. ولا شك أن هذا تجنٍ على سبل تحقيق البركة. لأن الإخلاص لله تعالى في أداء العمل والمتابعة لرسوله تستلزم الدقة والإتقان عند أدائه، والحذر من الغفلة عن مفسدات العمل، ومبطلات نفعه.

ثالثاً: الوسطية في طلب البركة

إن منهج الوسط والاعتدال في طلب البركة يقتضي مراعاة ما يلي:

- ١ - طلب البركة من الله تعالى وفق ما شرع - عز وجل - لأنها لا تحصل إلا بفضلته ومنته.
- ٢ - الحرص على السبل الشرعية التي تنال بها البركة مما جاء الدليل على أنها مباركة كال تبرك بشرب ماء زمزم، أو التبرك بالتعرض لماء المطر عند نزوله.
- ٣ - العلم بأن البركة تزيد بزيادة الطاعة وتنقص بنقصها.

٤ - ترك التهاون بتحري بركة العمل والتي تتحقق بالحرص على إتقان العمل وتحسينه تحسناً موافقاً لما يحبه الله ويرضاه، وهذا لا يتحقق إلا بمعالجة النفس من داء الرياء والشرك، وموافقة الظاهر لسنة المصطفى

(٣٧) ابن منظور، ١٤٠٨هـ، مادة «متع».

- عليه الصلاة والسلام - . والمعرفة الدقيقة بالواجبات المتعلقة بما يقوم به من أعمال، وكيفية تنفيذها، وسبل إتقانها وتحويرها وتطويرها..

٥ - جعل البركة محوراً أساسياً ينطلق منه الإنسان في تنمية ذاته، وإصلاح واقعه، ورفع مستوى أدائه.

المبحث السادس

الوسائل الشرعية في تحصيل البركة

لتحصيل البركة سبل شرعية وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فمن تعلمها وعمل بها تحققت له البركة بإذن الله تعالى. ومن تلك الوسائل ما يلي:

أولاً: تحري الأوقات المباركة

إن تحري الأوقات الفاضلة التي ورد النص ببركتها، واغتنام ساعاتها بالعمل الصالح خير وسيلة لتحصيل البركة في حياة الإنسان. ولا شك أن خير وقت على الإطلاق ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿وَالْكَتَبِ الْمُبِينِ ۖ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكََةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝﴾ (الدخان: ٢-٣).

قال السعدي: (هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكََةٍ﴾ أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر..... ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتناؤه تعالى

والخير بالخصب والأشجار والثمار والمياه.. كما عليه جمهور العلماء^(٤٠).

وقال ابن عاشور: (وكونُ البركة حوله كنايةً عن حصول البركة فيه بالأولى، لأنها إذا حصلت حوله فقد تجاوزت ما فيه؛ ففيه لطيفة التلازم، ولطيفة فحوى الخطاب، ولطيفة المبالغة بالتكثير)^(٤١).

أما البيت الحرام فقد عظمه الله تعالى وخصه بخصائص لا يشاركه فيها شيء فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ يَحْرَمُهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي قَطُّ إِلَّا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ لَا يُتَفَرَّ صَيْدُهَا وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهَا وَلَا يُخْتَلَى خِلَاهَا وَلَا تَحِلُّ لِقَطْعَتِهَا»^(٤٢).

وقوله (للناس): أي متعبدا يستوي فيه الناس، إذ غيره من البيوت يختص بأصحابها، والمشارك فيه للناس هو محل طاعتهم وعبادتهم وقبلتهم^(٤٣). لأنه (مباركاً) أي دوام الخير والمنافع الدينية والدنيوية فيه وزيادتها ومضاعفتها. ويدل على هذا المعنى الآيات التالية:

(٤٠) الشنقيطي، دت، ١٤/١٨.

(٤١) ابن عاشور، دت، ٢٠/١٥.

(٤٢) البخاري، ١٤١٠هـ، ١٤/٣، ح ١٨٣٣.

(٤٣) أبو حيان، ١٤١٢هـ، ٢٦٨/٣.

بخلقه^(٣٨)، ولذا تأكدت عبادة الله تعالى في تلك الليلة وإحيائها بالصلاة والدعاء والتلاوة حتى تتحقق للعبد السلامة والخير والرغد والبركة العظيمة التي تزيد وتتعاظم بحسب إخلاص العبد وصدقه مع ربه.

ثانياً: زيارة الأماكن المباركة

وهي الأماكن المنصوص على عظم بركتها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ﴾ (الإسراء: ١). فالعبادة فيها سبيل عظيم لنيل البركة في حياة الإنسان؛ لأن أجر العبادة مضاعف، ومن ثم كانت آثار تلك العبادة على العبد أعظم وأكمل.

فالبيت الأقصى أرضه مقدسة وتبتدئ من السواحل الشرقية الشمالية للبحر الأحمر وتنتهي إلى سواحل بحر الروم وهو البحر المتوسط وإلى حدود العراق وحدود بلاد العرب وحدود بلاد الترك^(٣٩)، وفي هذه البقعة المباركة كلم الله - عز وجل - فيها موسى - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠).

فقوله: ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾: أي أكثرنا فيها البركة

(٣٨) السعدي، ١٤٢١هـ، ص ٧٧١.

(٣٩) ابن عاشور، دت، ٧٧/٩.

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَابَ السِّبْ أَلْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧-٢٨).

قال ابن كثير: (قال ابن عباس: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فريضات الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدن والريح والتجارات. وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة، كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨) (١).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْخَبِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِصْيَانًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَإِسْمَاعِيلَ ۚ أَنْ طَهَّرَا بَيْتَیَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۖ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ ۖ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٥-١٢٦)، فجعل الله - عز وجل - للبيت خاصيتين:

الأولى: أنه (مثابة) أي مكان يكتب فيه الثواب،

والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله (٢) وما يناله المتعبد فيه من مضاعفة الحسنات، وتكفير السيئات. كما دل عليه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٣). فمضاعفة الحسنات وتكفير السيئات علامة من علامات كثرة الخير والبركة التي سينالها الإنسان بسبب ذلك.

الثانية: أنه (أمنًا) والأمن نعمة يجدها كل من دخل البيت أو جاوره من الاستقرار الظاهر والباطن. فهو أمن شامل لجميع المخلوقات حتى الصيد والشجر. ٣ - قوله تعالى (وهدي) وهي الصفة الثانية للبيت بعد أن وصفه الله تعالى بالبركة. والهداية هداية علم وهداية عمل. فمن أحسن تعظيم الله تعالى وأخلص له التوحيد في هذه البقعة المباركة تحققت له هداية العلم والعمل.

قال السعدي: (والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبيدات المختصة به، وأما هدى العلم فيما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ (آل عمران: ٩٧)، أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب

(٤٥) الراغب الأصفهاني، دت، ص ٨٣ - ٨٤.

(٤٦) البخاري، ١٤١٠هـ، ١٣٣/٢، ح ١٥٢١.

(٤٤) ابن كثير، دت، ٤١٠/٥.

الوفير في بناء الأرض وعمارتها واستنباط سنن الله تعالى فيها وتسخيرها لما يحقق له زيادة في الحياة الكريمة السهلة، وفتح فرص العمل والإنتاج..
ثالثاً: الدعاء ببركة المنزل

إن مكان السكن إذا قلت بركته أو عدت لن يستطيع الإنسان أن يستخرج ما في الأرض من خير ولن ينتفع بما فيها من تسخير، لذا تأكدت أهمية الدعاء بالبركة في أي مكان ينزله الإنسان ويمكث فيه ليستفيد من خيره. والله تعالى علم نبيه نوح - عليه السلام - أن يسأله المنزل المبارك فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩). فالأرض والمكان الذي يستقر فيه الإنسان أحد الأسس التي يعتمد عليها لبناء المجتمع الإنساني، ونوح - عليه السلام - لما دعا بالبركة عاش ينعم بخيرات الأرض التي أسس فيها أول مجتمع إنساني بعد الطوفان والذي منه امتدت سائر المجتمعات، وشيدت كافة الحضارات.. وكل ذلك من آثار الدعاء ببركة المنزل التي ظل خيرها يزيد وينمو على مر العصور والدهور.. وقوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي تكفي نزيلك كل ملم، وتعطيه كل مراد^(٤٧).

رابعاً: الدعوة إلى الله تعالى وتعليم الناس الخير:

امتن الله تعالى على رسله بالبركة لما بذلوه من حسن الاستقامة على دينه والصبر على الدعوة إلى الله

العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما من به على أوليائه وأنبيائه^(٤٨). وبهذا نخلص إلى أن عبادة الله - عز وجل - في بيته الحرام تحقق الأهداف التالية:

الأولى: زيادة العبودية لله تعالى وزيادة توحيده والقرب من المولى - عز وجل - وهذا من أعظم الخير على الإطلاق.

الثانية: ينال المتعبد في هذه البقعة ثواباً عظيماً، وأجراً مضاعفاً في الدنيا والآخرة، يزيد عما يناله في غيره من البقاع.

الثالثة: ينال المتعبد لله تعالى في هذه البقعة الرزق المبارك والذي به يتحقق الأمن بمعناه الشامل.

يدل على هذا ما رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ»^(٤٩).

فبانتفاء الفقر يتحقق الرخاء الاقتصادي ورفاهية العيش فيعم الخير وتحصل المنافع الدنيوية وتزدهر الحياة على المستوى الفردي والجماعي. وبانتفاء الذنوب يزيد الإيمان وتحقق التقوى، ويهتدي العبد لطريق الحق فيترقى على منهج الحق الذي يجعله عبداً صالحاً مستقيماً قادراً على استخدام ما عنده من النعم والرزق

(٤٧) السعدي، ١٤٢١هـ، ص ١٨٣.

(٤٨) الترمذي، دت، ١٧٥/٣، ح ٨١٠.

(٤٩) البقاعي، ١٣٨٩هـ، ١٦٩/٥.

تعالى، وتحمل المشاق العظيمة في سبيل ذلك. ولذا فإن الله تعالى بين في كتابه البركة التي حصلت لأولي العزم من الرسل، فحين نقرأ التاريخ الإنساني نجد أن جزءاً من ذلك التاريخ تشكل بفضل بركات الله تعالى على نوح - عليه السلام - وعلى من معه، وبذلك البركات استمرت الحياة بعد الطوفان الذي أغرق الأرض ومن فيها جميعاً ولم تكتب الحياة إلا لمن كان على ظهر سفينة نوح - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَنْتُحِ أَهْبِطْ بِسَلَمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨)، فالبركات في الآية الخيرات النامية، واحداً منها بركة وهي من كلمات التحية مستعملة في الدعاء.

ولما كان الداعون بلفظ التحية إنما يسألون الله بدعاء بعضهم لبعض فمجيء هذا الدعاء من لدنه قائم مقام إجابة الدعاء، فهو إفاضة بركات على نوح - عليه السلام - ومن معه، فحصل بذلك تكريمهم وتأمينهم والإنعام عليهم. فالكلام بشارة لنوح - عليه السلام - ومن معه بأن الله يجعل منهم أمماً كثيرة يكونون محل كرامته وبركاته^(٥٠). وهكذا فإن الله تعالى بارك لنوح - عليه السلام - في ذريته فكان من نسله قبائل وشعوب تفرقت وعمرت الأرض بعد إغراقها بالطوفان.

قال ابن القيم: (وأما البركة؛ فإنها لما كان مسماهما كثرة الخير واستمراره شيئاً بعد شيء، كلما

انقضى منه فرد خلفه فرد آخر، فهو خير مستمر يتعاقب الأفراد على الدوام شيئاً بعد شيء، كان لفظ الجمع أولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها)^(٥١).

أما إبراهيم - عليه السلام - فإن الله تعالى قال عنه: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَمَّا بَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ﴿ قَالَتْ يَوَاسِّرُنِي الْإِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (هود: ٦٩ - ٧٣)، لقد بشرت الملائكة زوجة إبراهيم - عليه السلام - بالرحمة والبركة من الله تعالى فهو المختص بها - عز وجل - وجاءت البركة بصيغة الجمع دلالة على أنها بركات عظيمة ممتدة وباقية في أعقاب ذريته - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات: ١١٣).

قال السعدي: (أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من

(٥٠) ابن عاشور، د.ت، ٩٠/١٢ - ٩١ ملخصاً.

(٥١) ابن القيم، ١٤٢٧هـ، ٢/٦٧٦.

تعلق قدرة الله بها وأنتم أهل لتلك الرحمة والبركة فلا عجب في وقوعها عندكم^(٥٣).

والله - عز وجل - خص موسى - عليه السلام - بمزيد بركة وفضل فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٨).

وقوله: ﴿ بُورِكَ ﴾ أي قدس^(٥٤) وطهر وكثر خيره^(٥٥). ومحبيء ﴿ بُورِكَ ﴾ على صيغة المبني للمجهول تفيد معنى الدعاء.

أي الدعاء لموسى بالبركة. وذلك كقوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ﴾ (آل عمران: ١١٢)، أي فلتضرب عليهم الذلة^(٥٦).

وقال الرازي: (أنه سبحانه جعل هذا القول مقدمة لمناجاة موسى - عليه السلام - فقوله: ﴿ بُورِكَ ﴾ يدل على أنه قد قضى أمراً عظيماً تنتشر البركة منه في أرض الشام كلها)^(٥٧) وقوله: ﴿ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾: اختلفت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية على أقوال:

القول الأول: بوركت النار. وهو قول مجاهد وابن جريج.

(٥٣) ابن عاشور، دت، ١٢/١٢٢.

(٥٤) الطبري، ١٤١٨هـ، ٩/٤٩٦.

(٥٥) ابن حيان، ١٤١٢هـ، ٧/٥٣.

(٥٦) انظر: ابن حيان، ١٤١٢هـ، ٧/٥٣.

(٥٧) فخر الدين الرازي، ١٤١٧هـ، ١/٣٤٥٧.

ذرية إسحاق^(٥٨). ولا نعجب أن يخص خليل الله إبراهيم - عليه السلام - بهذا، فسلسلة الابتلاءات وأعمال التوحيد التاريخية التي سجلها القرآن الكريم لإبراهيم - عليه السلام - ابتداء من إعلان التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، إلى تكسير الأصنام والتي بسببها ابتلي بالإحراق بالنار لولا أن نجاه الله تعالى منها، ثم خروجه من بلده، واختباره بترك زوجته ورضيعها في واد غير ذي زرع، ثم استجابته للوحي بذبح ابنه الصالح البار بعد أن بلغ معه السعي حتى فداه الله تعالى فكان ذلك سبباً في تشريع سنة الأضحية، وهو الذي أعاد بناء بيت الله المحرم ليعمر بطاعته - عز وجل - وإخلاص التوحيد له تعالى، وهو الذي شرع مناسك الحج ونادى بها بأمر من الله تعالى فاستجاب له الناس حتى من كان في صلب أبيه.. كل ذلك وغيره أسباب ظاهرة الدلالة على خصائص هذا النبي الكريم المبارك في تأسيس القواعد الإيمانية في الأرض حتى يرتبط الناس بخالقهم، وتعمق صلتهم بربهم، وهذا ما جعل له مزيد فضل عند ربه ومزيد بركات عليه وعلى آل بيته.

قال ابن عاشور: (وجملة ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيَّكُمْ ﴾ تعليل لإنكار تعجبها، لأن الإنكار في قوة النفي، فصار المعنى: لا عجب من أمر الله لأن إعطاءك الولد رحمة من الله وبركة، فلا عجب في

(٥٨) السعدي، ١٤٢١هـ، ص ٧٠٦.

القول الثاني: إنه نور الرحمن. وهو قول محمد ابن كعب وقتادة. وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن: يعني قُدَّسَ مَنْ في النار وهو الله سبحانه عنى به نفسه - عز وجل - ، وتأويل هذا القول أنه كان فيها لا على معنى تمكُّن الأجسام لكن على معنى أنه نادى موسى منها، وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها^(٥٨).

القول الثالث: بورك على من في النار وهو موسى أو على من في قرب النار، والعرب تسمي من قرب من الشيء في الشيء، وموسى قد كان قرب من النار فجعله كأنه في النار. وقال السدي: كان في النار ملائكة فالتبريك عائد على موسى والملائكة^(٥٩).

وقال ابن عاشور: (فهذا التبريك تبريك ذوات لا تبريك مكان بدليل ذكر (مَنْ) الموصولة في الموضعين، وهو تبريك الاصطفاء الإلهي بالكرامة. وقيل إن قوله: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ إنشاء تحية من الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - كما كانت تحية الملائكة لإبراهيم ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْتُهُ، عَلَيْكَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (هود: ٧٣)، أي أهل هذا البيت الذي نحن فيه^(٦٠).

وقال ابن عاشور: (و﴿وَسُبَّحَنَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ عطف على ما نودي به موسى على صريح معناه إخباراً بتنزيه الله تعالى عما لا يليق بالهية من أحوال المحدثات

ليعلم موسى أمرين: أحدهما أن النداء وحي من الله تعالى، والثاني أن الله منزّه عما عسى أن يخطر بالبال أن جلّالته في ذلك المكان. ويجوز أن يكون (سبحان الله) مستعملاً للتعجب من ذلك المشهد وأنه أمر عظيم من أمر الله تعالى وعنايته يقتضي تذكُّر تنزيهه وتقديسه^(٦١).

أما عيسى - عليه السلام - فإن الله تعالى جعل البركة مصاحبة له أينما كان وفي كل ما يفعل وفيما يقول، فكان الخير والرحمة والعافية تقارن أعماله كلها؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١)، فنصت الآية على أن عيسى - عليه السلام - مبارك. أي كثير البركات. والمبارك: الذي تُقارن البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك، لأن مبارك اسم مفعول من باركه، إذا جعله ذا بركة، أو من بارك فيه، إذا جعل البركة معه^(٦٢). وهذا لفرط بركته - عليه السلام - فهي شاملة للحياة الجسدية والروحية.

وقال ابن القيم في جلاء الأفهام: (قال غير واحد من السلف معلماً للخير أينما كنت وهذا جزءاً المسمى بالمبارك كثير الخير في نفسه الذي يحصله لغيره تعليماً وإقذاراً ونصحاً وإرادة واجتهاداً، ولهذا يكون العبد مباركا لأن الله بارك فيه وجعله كذلك^(٦٣)).

(٦١) ابن عاشور، دت، ٢٢٦/١٩ - ٢٢٧.

(٦٢) انظر: الشنقيطي، دت، ١١١/٢٠؛ ابن عاشور، دت، ٩٩/١٦.

(٦٣) ابن القيم، ١٤٢٧هـ، ١/١٦٨.

(٥٨) الثعلبي، ١٤٢٢هـ، ٧/١٨٩.

(٥٩) السمعاني، ١٤١٨هـ، ٤/٧٨.

(٦٠) ابن عاشور، دت، ٢٢٦/١٩ - ٢٢٧.

(النساء: ١٥٩)^(٦٤)، وهذه البركة له عليه الصلاة والسلام هي التي يجب إثباتها في حقه، أما ما عليه النصارى من الغلو في عيسى - عليه السلام - وادعاء أنه صلب فداء للخطيئة الأولى - خطيئة آدم عليه السلام - وأنه المخلص للعالم من تلك الخطيئة^(٦٥).. فهذا تحريف للحقائق وتقول على الله تعالى بغير علم. فكل نفس بما كسبت رهينة وآدم - عليه السلام - تاب من خطيئته واستغفر وتاب الله عليه.. وبركة عيسى على العالم هي هدايته لهم لطريق الحق والرشاد.

رابعاً: الحرص على الانتفاع من شجرة الزيتون

لقد جاء النص بإثبات بركة شجرة الزيتون وهي الشجرة التي كلم الله تعالى عندها موسى - عليه السلام -. كما قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْكَالِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ ... الآية (النور: ٣٥).

قال البيضاوي: (وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتون عنها تفخيم لشأنها)^(٦٦).

ولشجر الزيتون خصائص وفضائل ثابتة معلومة لا توجد في غيره من الأشجار، وقد وصفها تعالى بأنها

فكل معجزاته - عليه السلام - تعنى بحفظ الجسد من المرض أو الموت، كما تعنى بحفظ روحه من الانتكاس في ظلمة الظلم والشرك والخطيئة. قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا: (٥٨ - ٥٠).

بل إن خيره ثابت باق إلى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وينزوله - عليه السلام - في آخر الزمان نعم البركة على أهل الأرض، ويرفع الظلم، ويحكم بالعدل، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ - صلى الله عليه وسلم - : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقرءوا إن شئتم: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿

(٦٤) البخاري، ١٤١٠هـ، ٧٧٤/٢، ح ٢١٠٩.

(٦٥) البرشومي، ١٩٨٧، ص ١٧.

(٦٦) ابن عمر البيضاوي، ١٤٠٨هـ، ١٨٧/١.

علاج كثير من الأمراض، وجعله أحد عناصر الطعام يزيد الجسم قوة وصحة ويحفظه من الأمراض والآفات التي تعيق الحياة وتجلب البؤس والشقاء..

قال ابن القيم: (الزيت حار رطب في الأولى، وغليظ من قال: يابس، والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده، ومن الفج فيه برودة ويؤسة، ومن الزيتون الأحمر متوسط بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدال، وينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً، وما استخرج منه بالماء، فهو أقل حرارة، والطف وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه مليئة للبشرة، وتبطن الشيب. وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار، ويشد اللثة، وورقه ينفع من الحمرة، والنملة، والقروح الوسخة، والشرى، ويمنع العرق، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا)^(٦٧).

الخاتمة

حين يتأمل الإنسان الحياة من حوله، ويشده روعة حركتها، وضخامة خيراتها.. يدور في عقله تساؤل حول ما يراه ويسمعه من تدمير ملح لضيق ذات اليد، وعدم كفاية الأرزاق للمتطلبات، والشعور المستمر بالحاجة والإحساس بالنقص وشبه الاتفاق على أن الزمان والمكان والأحوال يتقاصر عن الوصول لحد الكفاية... والمراقب لكل ذلك حين يرجع لكتاب

(٦٩) ابن القيم، ١٤١٢هـ، ٣١٧/٤.

شجرة مباركة وأقسم تعالى بثمرها فقال تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونِ﴾ (التين: ١). ومن مظاهر بركة هذه الشجرة أنها لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها متوسطة في موقعها، والتوسط هو من أفضل الأماكن التي يكون فيها الشجر لكونه محفوظاً مما يعتري الأطراف، وكذلك فإن التوسط يمكن الشجرة من الاستفادة من الشمس بدرجة عالية، مما ينعكس أثره على جودة النبات.

قال ابن كثير: (أي: ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في غربيها فيقتلص عنها الفياء قبل الغروب، بل هي في مكان وسط، تفرعه الشمس من أول النهار إلى آخره، فيجنيء زيتها معتدلاً صافياً مشرقاً)^(٦٨).

فهي شجرة كثيرة البركة، وقيل: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وقيل: أراد به زيتون الشام لأنها هي الأرض المباركة، وهي شجرة لا يسقط ورقها، وينتفع بجودة هواء غاباتها^(٦٩). وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويدهن به وهو إدام وهو أصفى الأدهان وأضوؤها، ويستنار بزيتها ويدخل في أدوية وإصلاح أمور كثيرة. وينتفع بحبها أكلاً، ومحطبها وهو أحسن حطب لأن فيه المادة الدهنية، قال تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون: ٢٠).

ومن بركة هذه الشجرة الانتفاع من زيتها في

(٦٧) ابن كثير، دت، ٦٢/٦.

(٦٨) انظر: الخازن، ١٣٩٩هـ، ٧٧/٥؛ ابن عاشور، دت،

٢٤٠/١٨.

والتي بها تتحقق أهداف التنمية، ومن خلالها ينتشر الأمن والاستقرار ورغد العيش.

٥ - إتقان العمل والحرص على الإحسان والجودة في أدائه سبب عظيم في تحقيق بركة ذلك العمل.

٦ - إن البركة معنى زائد على الرزق، فالرزق وإن كان فيه خير وفائدة ولكن إذا انعدمت بركته لم تتحقق كفايته، ولا بقاءه مهما كثر وتعاضل في ظاهره.

٧ - إن العناية بتحصيل البركة وسيلة عظيمة من وسائل تنمية الذات، وتطوير المهارات، لأن البركة تنقص وقد تنتفي بوجود المعصية والإصرار عليها، مما يجعل المؤمن حريصاً على ترك العادات السيئة المنهي عنها والاستقامة على العادات الحسنة المأمور بها. وكل ذلك يحقق صلاح النفس واستقامتها وتنميتها والتزامها بالقيم الصحيحة.

٨ - وجود البركة في حياة المسلم من أعظم السبل لتحقيق الأمن بمعناه الشامل، لأن الإنسان بفطرته يحب البقاء ويكره الفناء وزوال النعمة، فإذا علم أن البركة ستحفظ له هذه النعمة في دنياء وآخرته، وتبقي آثارها بعد موته، شعر بالأمن والاطمئنان والراحة والرضا والسعادة.

٩ - إن دلالات آيات البركة ترفع ثقة المؤمن بدينه وبما أنعم الله تعالى عليه من سائر النعم، وتعلي لديه الشعور بالعلو على الكافرين، وتزهدهم فيما لديهم من النعمة ورغد العيش..

الله تعالى لبحث في آياته عن حلّ لهذا الواقع المتأزم يجد أن الله تعالى جعل البركة سنة من سنته - عز وجل - في الكون أودعها في الخلق لتثيit الخير وتنميته ورخائه في حياة الفرد والجماعة، وقد بين ذلك المولى - عز وجل - في كتابه ووضح معالمه وحدوده، وكشف عن خصائصه وسماته، لأنه فضل الله على خلقه. وبمراعاة تلك السنة تتحقق كفاية الأرزاق مهما قلت كميتها، ويتضاعف الإنجاز ولو حددت ساعات العمل، ولا يضيق المكان مهما كثر السكان، ويمتد ذكر المرء وإن مر على رفاته تطاول الزمان.. إنها البركة بمعناها الواسع بركة الوقت وبركة المال وبركة الذرية وبركة كل رزق أعطاه الله لعبده. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نتائج البحث وتوصياته

١ - البركة هي سنة الله تعالى لحفظ الحياة على الأرض وبقائها واستمرارها.

٢ - تميز أمة محمد بالبركة دون سائر الأمم دليل على فضلها عليهم وأن الخير ثابت فيها لا يزول ولا يتغير بخلاف سائر الأمم.

٣ - البركة نوعان: مطلقة لجميع الخلق لضمان بقاء حياتهم، ورقية حضارتهم، وبركة مقيدة بطاعة الله تعالى واتباع رسوله وهي لا تكون إلا لعباد الله الموحدين.

٤ - إن البركة المقيدة هي البركة المقصودة،

- ١٠ - إن من المفاهيم الخاطئة الظن بأن البركة معنى يتضمن حصول الخير للإنسان دون تخطيط وترتيب للأولويات للوصول إليها.
- ١١ - إن البركة سنة عظيمة يتأكد الحرص على تحقيقها من خلال تتبع ما جاء في نصوص الكتاب والسنة بذكر الأشياء المباركة.
- ١٢ - إن غياب البركة عن حياة العبد تضعف من فائدة إنجازاته ، وتعطل عليه فرصا عظيمة في تحقيق رقيه وتقدمه.
- ١٣ - مفهوم البركة أوسع وأشمل من معنى التنمية ؛ لأن التنمية تهدف لوجود الرفاهية ورغد العيش للإنسان في الدنيا ، أما البركة فهي ممتدة الجذور ، باقية الأثر والنتيجة حتى بعد الممات.
- ١٤ - إن من مقاصد القرآن الكريم تحقيق البركة في حياة المسلمين.
- ولذا فإن الباحثة توصي بما يلي:
- ١ - التوسع في دراسة العلاقة بين مقاصد القرآن وبين حديثه عن البركة.
- ٢ - الدعوة إلى ربط طلب البركة بطلب الرزق لاسيما في ظل عصر العولمة والنظرة المادية للأمور.
- ٣ - تصحيح المفاهيم الخاطئة في سبل تحصيل البركة ، والدعوة إلى ضرورة العناية بالتخطيط المستقبلي ، والتدرب على حسن تنظيم الوقت وترتيب الأولويات لضمان تحقق البركة في حياة الإنسان.
- ٤ - زيادة التأكيد على الدعاء بالبركة عند التهئة بمناسبة تجدد النعمة.
- ٥ - العناية بغرس قيمة البركة في تربية الأبناء من خلال اتباع منهج الكتاب والسنة في التربية.
- ٦ - بناء خطط التنمية وفق ضوابط تحقيق البركة ، فيجب الحذر من الخطط التنموية التي فيها اتباع سبيل الظالمين ، باسم التمدن والحضارة والاستفادة من حضارة الأمم المعاصرة دون تمييز بين الاستفادة.
- ٧ - زيادة الوعي الحضاري بدور البركة في تحقيق التقدم والازدهار الحسي والمعنوي.
- ٨ - تعزيز ثقة المسلمين بأنفسهم وبمجتمعهم ، وعدم الافتتان بأحوال الكفار لأنها زائلة ولا بقاء لها ولا نفع حقيقياً فيها.
- ٩ - التحذير من التهاون في نسب البركة لغير الله تعالى ، كمن يقول تباركت علينا بقدومك ونحو ذلك ، لأن البركة لا يهبها إلا الله تعالى.
- ١٠ - ربط مفهوم الجودة والإتقان بمفهوم البركة ؛ لأن العلاقة بينهما علاقة طردية ، والوعي بأن البركة سبيل لتحقيق الجودة وضمان لوجودها.
- ١١ - لابد من تطبيق نظام الجودة والإتقان في مؤسسات الدولة المختلفة بما يتوافق مع ضوابط ضمان وجود البركة بمعناها المقيد ، للاختلاف الجذري في معيار الجودة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

المصادر والمراجع

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. القاهرة: طبعة

دار الشعب، د.ت.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه.

صححه ورقمه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد

عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية،

فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار

إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن

يوسف. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار

الفكر، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

أبو داود السجستاني، سليمان بن أشعث. سنن أبو

داود. بيروت: دار الفكر، د.ت.

الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير. تفسير مقاتل.

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٩٧٩م.

البخاري، محمد بن عبد الله. صحيح البخاري. ط ٤.

بيروت: اليمامة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

البرشومي، محمود. المسيح بين الإنجيل والقرآن.

القاهرة: مكتبة الإسكندرية، ١٩٨٧م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل.

ط ٤. الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن

الرباط بن علي بن أبو بكر. نظم الدرر في

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد

الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر.

بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن

هلال بن أسد الشيباني. مسند أحمد. ط ٢.

بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر.

التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية. د.ت.

ابن عمر البضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط ١. بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ابن فارس، أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. ط ١.

بيروت: دار الجليل، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

شمس الدين. بدائع الفوائد. ط ٢. مكة المكرمة:

دار عالم الفوائد، ١٤٢٧هـ.

_____، جلاء الأفهام في فضل الصلاة

والسلام على محمد خير الأنام. تحقيق: زائد بن

أحمد النشيري. ط ٢. مكة المكرمة: دار عالم

الفوائد، ١٤٢٧هـ.

_____، زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط.

ط ٢٦. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

- تناسق الآيات والسور. ط١. د.م: أم القرى للطباعة والنشر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- بكار، عبد الكريم بن محمد الحسن. *فصول في التفكير الموضوعي منطلقات ومواقف*. ط١. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك. *الجامع الصحيح سنن الترمذي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت.
- النعلي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. *الكشف والبيان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الجديع، ناصر بن عبد الرحمن بن محمد. *التبوك أنواعه وأحكامه*. ط٥. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. *كتاب التعريفات*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- جروان، فتحي عبد الرحمن. *تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات*. ط١. الإمارات: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادى. *تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل*. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. *المفردات*. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. *التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج*. دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. *الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل*. الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. *تيسير الكريم الرحمن*. ط١. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ.
- السمعاني، أبو مظفر منصور بن محمد. *تفسير القرآن*. ط١. الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الشراح، يعقوب بن محمد. *التربية وأزمة التنمية البشرية*. ط١. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: عالم الكتب. د.ت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- علي رضا، محمد رشيد. *تفسير المنار*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- العيسوي، إبراهيم. *التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها*. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. *التفسير الكبير*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. *القاموس المحيط*. ط٤. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ.
- قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. ط١٧. بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. *الكليات*. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. *تاج العروس من جواهر القاموس*. دم: دار الهداية. د.ت.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- مسلم، مصطفى محمد. *مباحث في التفسير الموضوعي*. ط١. دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- نشوان، يعقوب حسين. *التفكير العلمي والتربية العلمية*. ط١. عمان: دار الفرقان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

"Blessing In the Holy Qur'an" (Objective Study)

Wafaa Abdullah Al-Azaeage

Assistant professor Department of Islamic Studies

Girls Education College, King Saud University

Al Riyadh , Kingdom of Saudi Arabia, P.O. box: 37592, Postal Code:11449

E-mail: d.w.z1432@gmail.com

(Received 2/7/1432H; accepted for publication 30/12/1432H.)

Key words: Blessing, development, grace, happiness, education, social security, piety.

Abstract. Blessing means a plenty of goodness and its development and stability in all the fields of life. Therefore, the goodness has no value When the blessing is removed from it, blessing develops and keeps it, the characteristic of blessing are stability and continuity which does not know limits of time and place are its extended to eternity in after life home. And so the human development, which aims to increase the goodness available before the people is no way to reach their aims ,but to make the blessing its base which appears from it to take the reasons by collecting, and avoid obstacles to its existence. The development projects have become successful and achieving effective honest life, which is reflected on the security and well-being of society and stability. As the dimensions of the blessing in the development people's lives, and have a great impact in achieving security sense. The holy Qur'an has shown the meaning of the blessing and limits and reveal its signs, ways of acquiring it and obstacles of it. According to the purposes of the holy Qu'ran and the great guidance, because the existence of the blessing is related to good relation to Allah, and this confirms that the security in its comprehensive sense, and sustainable development depend on the safety of unification, and the belief and moderation thinking.